الفصل الأول

مقدمة نظرية ومنهجية

- تمهيد .
- أولاً: فى التنظير للاتجار فى الأعضاء البشرية (محاولة الفهم)
- ثانياً : أهداف الدراسة وتساؤلاتها .
- ثالثاً : منهجية الدراسة والعينة ومجالها الجغرافى .

تمهيد :

موضوع الدراسة الراهنة هو «الاتجار في الأعضاء البشرية» وهي دراسة تحددت أهدافها بكونها دراسة استطلاعية لعدم وجود دراسات مصرية حول هذا الموضوع.

وتمت بلورة هذا الهدف الاستطلاعي من خلال أسئلة محددة حول أطراف الظاهرة والمشاركين فيها، ومراحل عملية الاتجار بالأعضاء البشرية وأساليبها وما يسودها من قيم ومصالح وتوفر الإجابة العلمية على تساؤلات الدراسة بيانات ومعلومات للمساهمة في فهم أفضل للظاهرة، وبما ييسر للمشرع ومتخذ القرار وصانع السياسات، إنجاز مهامهم في مواجهة الظاهرة. كما يمكن لتلك البيانات والمعلومات أن تمهد لدراسات أخرى أكثر عمقًا وشمولاً.

ولقد واجهت الدراسة عدة إشكاليات علمية، نظرية ومنهجية، فالأدبيات العالمية والموجهات النظرية والدراسات الإمبريقية – الواقعية حول الظاهرة تكاد تكون نادرة، ولم تشكل بعد إطار رؤية نظرية توجه البحوث والدراسات ذات العلاقة. ولهذا نجد أن معظم التقارير الدولية والإقليمية والمنتديات والاجتماعات ذات العلاقة، تصدرت توصياتها، الحاجة إلى إجراء دراسات وبحوث تسجل أبعاد الظاهرة وعملياتها ومراحلها وتداعياتها الفردية والمجتمعية.

لقد تمثل المتاح من أدبيات علمية حول الظاهرة في توصيفات عامة لعوامل الظاهرة وأبعادها، وتقديرات كمية لها لم تصل بعد إلى مستوى الدقة العلمية والبرهنة على أحجامها وتوزيعاتها داخل بلدان وأقاليم العالم وبينها. وتكاد تتمحور الرؤية العامة الأكثر تواترًا في الأدبيات المتاحة حول مقاربة الظاهرة (مدخل دراستها) في ضرورة دراستها من منظور حقوق الإنسان في سياق الاهتمام بظاهرة الاتجار بالبشر عامة باعتبار أن هذا الاتجاه هو إهدار حافل بالقسوة والقسر، لحقوق الإنسان.

ولهذا وغيره من تحديات إشكاليات جاء تفصيل بعض منها في الدراسة الاستطلاعية الراهنة لجأت الدراسة إلى عينة كرة الثلج Snowballing، فكل حالة أمكن التعرف عليها أسهمت في معرفة أخرى أو حالات أخريات وهكذا، ونظرًا للنفقات المطلوبة للتعرف على مفردات العينة وإقناعها للتواصل مع الباحثين واللجوء إلى تحفيزها ماديًا ومعنويًا حتى تتم دراستها، تم الاكتفاء بعدد من الحالات تم سبر أغوار أبعادها من خلال أسلوب دراسة الحالة Case Study، سعيًا إلى معلومات تفصيلية لا توفرها الدراسات الكمية، حتى مع كبر حجم عيناتها أحيانًا.

أولاً: في التنظير للإتجار في الأعضاء البشرية (محاولة للفهم)

أضحى الاتجار بالبشر ظاهرة كوكبية متعدية الحدود والثقافات والجنسيات، حتى أنه لا يوجد مجتمع من مجتمعات المعمورة إلا وتوجد به صور وأنماط للإتجار بالبشر، فهذا الإتجار يكاد ينتشر في ١٧٥ دولة من دول العالم في عام ٢٠٠٩[1] نهاية القرن العشرين وأوائل الألفية الثالثة وتزايدت أطرافه وتنوعت مجالاته ومنها:

- العمل القسري أو الإجباري (Forced Labor).
- العمل غير الطوعي في الخدمات المنزلية والخاصة.
- المتاجرة بالجنس (Sex Trafficking).
- المتاجرة بالأطفال جنسيًا.
- العمل التابع للكفيل (Banded Labor).
- التشغيل القسري للأطفال.
- استخدام الأطفال في الحروب (الطفل المحارب).
- السخرة في تشغيل المهاجرين.
- الاتجار بالأعضاء البشرية.

- لقد أفضى التطور اللامتكافئ بين المجتمعات في مصادر التنمية وأهدافها وفرصها وإنجازاتها المتحققة على أرض الواقع إلى حدوث فجوات عميقة بين الأقاليم والبلدان، وإلى تعميق تلك الفجوات على نحو مطرد نتيجة لخلل توزيع ثمار العولمة خاصة الاقتصادية، فالمجتمعات الصناعية في المركز الرأسمالي كانت أكثر حصاداً لمغانم العولمة وتطورت إلى مجتمعات المعرفة والحكم الرشيد Good Governance، في حين تحولت معظم مجتمعات الجنوب أو الدول النامية إلى مجتمعات تخوم وأطراف تواجه من مغارم العولمة أكثر مما تجني من مغانمها، فأضحت أكثر تشوهاً في تطورها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وأكثر استقطاباً في توزيع الناتج المحلي الإجمالي وفرص الحياة، وانعكس كل هذا على تشوه الأسواق بها، ومنها سوق الاتجار بالبشر.

وساعد في التأثير في أوضاع أطراف العرض والطلب على سوق الاتجار بالبشر لصالح أطراف الطلب بروز- وعلى نحو غير مسبوق- آليات الإفقار والتهميش في البلدان النامية، وتجاوز الفقر تحديده المادي المعروف بفقر الدخل محدداً بالدولار ليشمل فقر القدرات، وهو الأخطر والأعمق، لأنه يحاصر فرص الحياة اليومية أمام الذين يعانونه، فهم الأقل تعليماً ومعرفة ومهارة وخبرة في العمل وإلماماً بالتقنيات المتغيرة المطلوبة في أسواق العمل، فضلاً عن انحسار فرص حماية حقوقهم في الصحة والتعليم والمشاركة الاقتصادية – التملك، العمل – والاجتماعية والسياسية.

جدول رقم (١)

تباين الدخل والفرص في بعض أقاليم العالم ٢٠٠٧

الأقاليم	نصيب الفرد من الدخل بالدولار ٢٠٠٧	صافي الالتحاق بالتعليم ٢٠٠٧	توقع الحياة عند الميلاد بالسنوات
الدول العربية	٨,٢٠٢	٦٦,٢	٦٨,٥
إفريقيا جنوب الصحراء	٢,٠٣١	٥٣,٥	٥١,٥
دول منظمات التعاون الاقتصادية والتنمية	٣٢,٢٧٢	٨٩,١	٧٩
دول الاتحاد الأوروبي	٢٩,٩٥٦	٩١	٧٩
دول مجلس التعاون الخليجي	٣٠,٤١٥	٧٧	٧٤

المصدر: UNDP. Human Development Report, 2009 P. 174

وبجانب أدوار خلل توزيع الناتج الإجمالي وفرص الحياة في التأثير العام في سوق الاتجار بالبشر عرضًا وطلبًا، بوسع المتأمل في متغيرات الجدول السابق ومعطياته أن يتخيل ولو على نحو افتراضي – يقترب من الواقع – خارطة كوكبية لمجتمعات العرض ومجتمعات الطلب على البشر، سلعة تباع وتشتري، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار تحريك موضوعات العرض من البلدان المرسلة للبشر إجمالاً – الهجرة بأنواعها على سبيل المثال – إلى مجتمعات الطلب ذات القدرات الاقتصادية والمالية الأكبر، وأحيانًا انتقال مؤسسات أو أفراد من مجتمعات الطلب إلى بلدان العرض الأقل قدرة اقتصادية لاصطياد ما يريدونه من سلع بشرية.

لقد أكد تقرير منظمة الأغذية والزراعة لعام ٢٠٠٩ أنه يوجد بالكوكب الذي نعيش فيه حوالى مليار من البشر يعانون الجوع فضلاً عن مليار آخرين يعانون سوء التغذية[٢].

وبهذا يمكن القول أن الإتجار بالبشر – بما في ذلك الاتجار في الأعضاء البشرية – هو نتاج علاقات غير متكافئة بين أطرافه تقوم على مركب متفاعل: الاستغلال والقسر والإجبار والغواية / مقابل الاضطرار والإذعان المستسهل.

ويمكننا أن نختم هذه المقدمة النظرية بعرض أهداف الدراسة الاستطلاعية لدروة عليمة الاتجار في الأعضاء البشرية.

ويمكننا أن نختم هذه المقدمة النظرية بعرض أهداف الدراسة الاستطلاعية لدورة عملية الاتجار في الأعضاء البشرية.

ثانيًا: أهداف الدراسة الراهنة وتساؤلاتها :

تؤكد الكثير من التقارير الدولية والإقليمية والمنتديات وورش العمل على الحاجة الملحة إلى بحوث ودراسات حول الاتجار بالبشر، لتوفير بيانات ومعلومات وقرائن علمية Evidences تمكن من صياغة استراتيجيات وخطط عمل ممكنة التنفيذ لمواجهة الاتجار بالبشر بما في ذلك الاتجار بالأعضاء البشرية[٣].

في ضوء هذا وغيره من ملابسات الظاهرة وتعقدها وتواريها تحدد هدف الدراسة الراهنة بأن يكون استطلاعيًا من خلال:

١. التعرف الأولي على أبعاد الظاهرة وخصائص أطرافها.

٢. رصد الممارسات التي تتم خلال مراحلها على أن تعقبها دراسات أخرى في مراحل تالية للتعمق في الظاهرة حاضرًا واستشراف مستقبلها.

٣. وكشأن كل الدراسات الاستطلاعية سعت الدراسة للإجابة على سؤالين أساسيين بجانب مخرجات أخرى، هذان التساؤلان هما: ماذا يوجد بشأن الظاهرة What؟ وكيف تتم عملية بيع الأعضاء How؟

٤. توفير معطيات عامة للمشرع لتقنين الظاهرة وإعداد بدائل قانونية فاعلة لمواجهتها حتى لا يصير التشريع عملاً مكتبيًا غير متفاعل مع واقع الظاهرة.

٥. توفير معلومات تمكن صانعي السياسات من إعداد خطط للتدخل لمواجهة الظاهرة.

ولبلورة أهداف الدراسة تم صياغة التساؤلات التالية:

أ) ما أهم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للأطراف الداخلة في عملية الاتجار في الأعضاء البشرية؟

ب) ما الأساليب والوسائل التي توظف من أجل إنجاز عملية الاتجار في الأعضاء البشرية؟

ت) ما أهم رؤى وأفكار الأطراف الفاعلة في عملية بيع الأعضاء، من حيث تفسير هذه العملية أو تبريرها، والموافقة عليها أو إدانتها كليًا؟

ثالثًا: منهجية الدراسة والعينة ومجالها الجغرافي :

- تندرج الدراسة ضمن الدراسات الاستطلاعية التى اعتمدت على منهج دراسة الحالة وعينة كرة الثلج.
- لقد اشتملت الدراسة الاستطلاعية على ثلاث عشر حالة تنوعت بين بائع ومتبرع ومسروق ووسطاء وإخباريين، وتوزعت عبر أكثر من محافظة من محافظات مصر يوضحها الجدول والشكل التاليين:

جدول رقم (٢)

ترتيب حالات الدراسة حسب أسبقية إجرائها

ترتيب الحالة	مسمى الحالة	نوع الحالة
١	حالة منشية ناصر	بائع
٢	حالة الشرقية	بائع
٣	حالة الإمام الشافعي	بائع
٤	حالة الجمالية	متبرع
٥	حالة أسوان	بائع
٦	حالة الفيوم	بائع
٧	حالة بورسعيد	مسروق
٨	حالة منشية ناصر	وسيط
٩	حالة مصر الجديدة	إخباري
١٠	حالة مصر الجديدة	إخباري
١١	حالة مصر الجديدة	إخباري
١٢	حالة منشية ناصر	وسيط
١٣	حالة منشية ناصر	بائع تحول إلى وسيط

شكل توضيحي لمناطق الدراسة الاستطلاعية وتنوعها

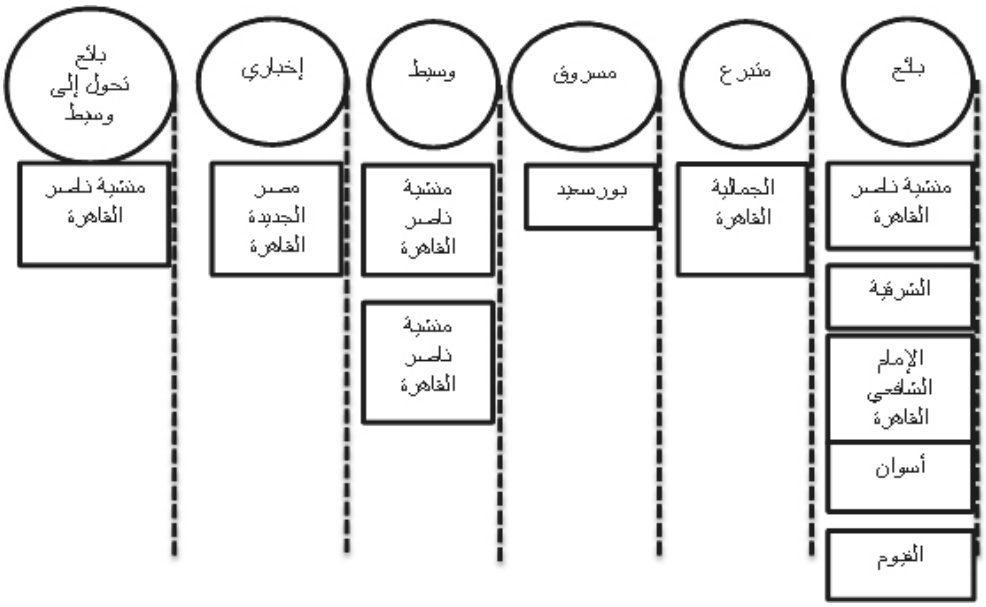

مراجع الفصل الأول

1-US: Department of State, Trafficking in person Report, 2009.

2. http:www.State.Gov/9/TIP/RLS/TIPRPT/2009/12313.htm.,216, 2009.

M. World Migration Report, 2009m Executive Summary.

٣. انظر تدليلاً على هذا في ملخص استنتاجات وتوصيات الاجتماع الإقليمي للخبراء العرب حول المساعدة القائمة على حقوق ضحايا الاتجار، القاهرة ١٤-١٦ ديسمبر ٢٠٠٨، خاصة التوصيتين الأولى والسادسة.